

# الفلسفة والخيال

د. رحيم محمد الساعدي

جامعة المستنصرية / كلية الآداب / قسم الفلسفة

## الفلسفة والخيال

### الفصل الأول

### الخيال في الفلسفة اليونانية

#### مقدمة وتعريف

يختصر معجم لالاند كعادته وبتركيز دأب على استخدامه تفسير مصطلح الخيال Imagination<sup>(1)</sup> وهو يحيلنا إلى خيارين الأول يعده ملكة تكوين الخيالات بالمعنى ، ويقال غالباً خيال نسخي أو ذاكرة متخيلة والثاني ، ملكة تركيب خيالات في لوحات أو في متواليات تحاكي وقائع الطبيعة وظواهرها لكنها لا تمثل شيئاً مما هو واقعي أو وجودي .

وربما تضايقت هذه اللفظة ، ففي الفرنسية ( Image ) او الإنكليزية ( Image ) وأيضا اللاتينية Imago، Imaginis إلا أنها تدل على معنى متعدد تمثل بالخيال الشخص، والطيف، وصورة تمثال الشيء في المرأة، وما تشبه لك في اليقظة والمنام من صور . وهو ما اقره المعجم الفلسفي الذي ربط الخيال أيضاً بالظن والتوهم ، ويدل في اصطلاحنا على الصورة الباقية في النفس بعد غيبة المحسوس عنها ، فإما أن تكون هذه الصورة تمثيلاً مادياً لشيء خارجي مدرك بحاسة البصر، كارتسام خيال الشيء في المرأة، أو تمثيلاً بخطوط بيانية، وإما أن تكون تمثلاً ذهنياً لشيء مدرك بحاسة البصر أو غيرها من الحواس<sup>(2)</sup> . واصطلاحاً ومن نافذة علم النفس فإن تلك الكلمة تصاغ بشكل صور ذهنية،

أو تصور imagery أو خيال ، تخيل Imagination و تدل هذه الكلمة على كل ما له علاقة بالخيال والملكات والقدرات الإبداعية<sup>(3)</sup> وهي تقترب بشكل أو بآخر من اصطلاحات مثل فانتازيا ، هاجس ، وهم fantasy/phantasy والفتنازيا تشير بشكل خاص إلى استغراق في خيال ووهم بعيد عن الواقع<sup>(4)</sup> .

وأصل الخيال القوة المجردة كالصورة المتصورة في المنام وفي المرأة وفي القلب، ثم استعمل في صورة كل أمر مُتصوّر، وفي كل دقيق يجري مجرى الخيال<sup>(5)</sup> .

اما من الجانب اللغوي فما من شك أن تتبع اللفظة في صفحات اللغة سيكون أكثر تشعباً لتنوع اللغة

العربية ، فيقول الفراهيدي و ابن منظور<sup>(6)</sup> خال الشيء يخال خيلاً ، وخيله ، و خالا و خيلانا ، ومخيلة ومخاله وخيلولة ، وفي التهذيب خُلته زيداً خيلاً، بالكسر، ومنه المثل (من يسمع يخل أي يظن) وخيل عليه تخيلاً وتخيلاً ، وجه التهمة إليه كما في المحكم . وخيل فيه الخير، تفرسه وتخيّل الشيء له إذا تشبّه . وقال الراغب: التخيل: تصور خيال الشيء في النفس... وخيّل إليه أنه كذا... من التخيل والوهم، ومنه قوله تعالى ((يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ))

وورد عند ابن فارس أن الخيال هو الشخص، و أصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبهه و يتلون وخيلت للناقة، إذا وضعت لولدها خيالاً يفرغ منه الذئب ، وتخيلت السماء ، إذا تهيأت للمطر، ولا بد أن يكون عند ذلك تغير اللون ، والمخيلة ، السحابة ، وخيلت على الرجل تخيلاً ، إذا التهمت إليه<sup>(7)</sup> .

ويمكن من نافذة اللغة العربية وسواها، تحديد مقارنة للمفاهيم التي تشترك بمعنى أو بآخر وتتداخل مع مفهوم الخيال، وهو أمر يحدد منهجاً يمكننا الاستفادة من مادة الخيال، فقد يبدو من المهم التفرقة بين مفهومي التصور والتخيل. فإن التصور تخيل لا يثبت على حال وإذا ثبت على حال لم يكن تخيلاً فإذا تصور الشيء في الوقت الأول ولم يتصور في الوقت الثاني قيل إنه تخيل ، وقيل التخيل تصور الشيء على بعض أوصافه دون بعض فلهذا لا يتحقق ، والتخيل والتوهم ينافيان العلم كما أن الظن والشك ينافيانه<sup>(8)</sup> .

ويعطي صاحب كتاب الفروق اللغوية فرقاً جوهرياً آخر بين كل من التصور والتوهم من أن تصور الشيء يكون مع العلم به ، وتوهمه لا يكون مع العلم به لأن التوهم من قبيل التجويز والتجويز ينافي العلم ، وقال بعضهم التوهم يجري مجرى الظنون ويتناول المدرك وغير المدرك وذلك مثل أن يخبرك من لا تعرف صدقه عما لا يخيل العقل فيتخيل كونه فإذا عرفت صدقه وقع العلم بمخبره زال التوهم ، وقال آخر : التوهم هو تجويز ما لا يمتنع من

لدى المدرك بفاعليته الروحية ويقول في كتابه مبادئ المعرفة الإنسانية إنَّ أحدا لا يمكن ان يدرك ان خواطرننا وانفعالاتنا وأفكارنا التي تتكون بالخيال لا توجد من دون الذهن ، ويميز بين نسقين من الصور في إطار تفرقة بين القهري والإرادي فهناك صور للحس وللخيال والثانية ابعثها بإرادتي والأولى من مصدر خارجي لا املك التحكم فيه والذي يهمننا هنا اعتراف باركلي بوجود اختلاف أساس في الطبيعة بين صور الحس وصور المخيلة التي ترجع إلى الإرادة الإنسانية<sup>(٤٦)</sup>.

إنَّ الفلسفة المثالية تنتهي بنظرها للخيال على ثلاث مسائل مهمة منها إقامة تمايز بين التخيل الإدراكي يؤول إلى فرق بين نسقين من الصور هما صور الحس وصور الخيال وفكرة هذا الفرق الموجه تشير إلى أن صورة الحس تأخذ وضع ضرورة خارجية لا انفكاك عنها وذلك لأن الموضوع في حالة الإدراك الحسي حاضر ومائل أما الصورة في النسق الثاني فتكشف عن حرية وعنصر فعال هو الإرادة وقد يكون الموضوع غائب عن الحس ومع ذلك أتخيله أو لا أتخيله وفق إرادتي ، والتمايز راجع إلى الاختلاف الحاصل بين الفعل والانفعال بينما وإذا أخذت الصورة في الإدراك الحسي وضع الانفعال القهري فإنها في الخيال تأخذ وضع الحرية وفي المسألة الثالثة فسيكون الخيال شرط ضروري لتصور الانا بعبارة الفيلسوف فخته قدرة الأنا على تصور سواء<sup>(٤٧)</sup>.

وفي بداية القرن العشرين اعتبرت المخيلة طفولة الوعي ، وقد دمجها برجسون مع الوعي كما اهتم بها سارتر<sup>(٤٨)</sup>. انتقد سارتر النظرية البرجسونية في الصورة في كتابه الخيال والخيالي ، فالعملية التخيلية عند برجسون يُعالج فيها مفهوم الذاكرة والصورة والمعنى هنا وجود وسط بين المادة والشعور وبين الامتداد الهندسي والفكرة الخالصة وهو وسط بين الشيء والتصور، من زاوية اخرى فإن الوضعية المنطقية حددت وظيفة الخيال في مجال الاستقراء والتجربة العلمية فيقول الفرد نورث وايتهد بهذا الصدد أن الطريقة التي يتم فيها الاستكشاف إنما تنشأ في جو من الملاحظة الفردية الخاصة أنها تحلق في جو رقيق من

التعقل الخيالي<sup>(٤٩)</sup> . وتشير هذه الملاحظة إلى أهمية التخيل في جانب فلسفة العلم والمنطق.

ويقدم هوسلر مثلاً يفصل بين تجربة الخيال ومحتواها ويقول: إننا نتخيل القنطور مخلوقاً أسطورياً ( بجسد حصان ورأس إنسان) عازفاً الفلوت وفي عملية التخيل هذه نجدنا صورة من تركيبنا، وهذا التركيب التصوري وكذلك الوهم يأخذ كل مكان تلقائياً ومن الطبيعي كون القنطور شيئاً غير عقلي فهو غير موجود فالقنطور كما نعينه محض خيال والتجربة الحية في هذا السياق هو القنطور متخيلاً ، وهو ما يؤول إلى التجربة التي نعيشها ولكن يجب ان نلخص مرحلة الخيال الذي نعيش مع التجربة<sup>(٥٠)</sup>.

أما سارتر في كتابه الخيال فأشار إلى ضرورة التمييز بين الإدراك الحسي والخيال فالإدراك الحسي تمثل الأشياء حاضرة حضوراً فعلياً أو هي حاضرة كما يقول هوسلر بلحمها وعظمها أما الخيال فإنه تمثل لهذه الأشياء ويكون في غيابها غياباً حقيقياً وكأنها غير موجودة بالفعل ، ولكن كيف يمكن للأشياء أن تمثل وهي غير موجودة ولم يجب عن ذلك في كتاب الخيال بل في الخيالي وفيه تأثر بهوسلر ، فموضوع الخيال يمثل في الذهن وكأنه غير موجود أنه لا يقوم في زمان أو مكان معين كما تسترجع الذاكرة<sup>(٥١)</sup>.

### خاتمة

في كشف لعلاقة الخيال بالفلسفة من جهة والمجتمع من جهة أخرى أجد بأن من الشيق أن نلتفت لذلك الظل الملازم لروح الحضارات والدول والمجتمعات فضلاً عن الفرد الذي قاد التاريخ وحتى هذه اللحظة بحزمة من الأفكار المنطقية وحزمة أخرى من التصورات الخيالية وما التخيل الذي يدجن فيه أفلاطون الدول لينسج لنا خيالا يوتوبيا إلا النموذج الخلاب لتصورات الفلاسفة.

أن نصف الفكر اليوناني القديم ينتمي إلى الخيال والنصف الآخر مناصفة مع العقل والعلم والتجربة ، وذلك يعني إن الأفكار المتخيلة فيها نسبة ضعيفة من الجانب الوثوقي وإلا فإن الخيال بحد ذاته ينتمي إلى الجانب العقلي الذي له القيمة على الخيال وهذه إشكالية أخرى فربما قام الخيال بتشتيت العقل أحياناً لأن الخيال هو مركب من المعطيات الحسية وبعض القوانين

فلم يروج للعلم بجعله الشغل الشاغل أو بجعله الصنعة الأهم بالنسبة للملوك واستعويض عن ذلك بتنمية الشعر والأدب والشعراء بغرض تحقيق بيئة للملوك يمجدون من خلالها أو يتنادمون .

#### الخلاصة

لأجل كشف العلاقة ما بين الخيال الفلسفة من جهة ، والمجتمع من جهة أخرى أجد بان من المهم ان نلتفت لذلك الظل الملازم لروح الحضارات والدول والمجتمعات فضلا عن الفرد الذي قاد التاريخ وحتى هذه اللحظة بحزمة من الأفكار المنطقية وحزمة أخرى من التصورات الخيالية وما التخيل الذي يدجن فيه أفلاطون الدول لينسج لنا خيالا يوتوبيا إلا النموذج الخلاب لتصورات الفلاسفة. والخيال الفلسفي له أهمية في خلق الأفكار وتقديم الفروض إلى العلم وهو يختلف من مدرسة إلى مدرسة ومن أمة إلى أخرى بسبب اختلاف الظروف. وأهميته تكمن بقدرته على إبراز الإبداع والتميز وفي البحث حديث عن الخيال في الفلسفة اليونانية والإسلامية والغربية والخصائص لكل من المرحلتين بالإضافة إلى مقارنة في الجانب الفلسفي والعلمي.

#### Abstract

To clarify, the relationship between fiction and philosophy on the one hand and society on the other hand, I find that it is important to pay attention to the shadow that haunts in the spirit of civilizations, nations and societies, as well as, the individual who led a history until this moment, Through a package of logical ideas, and other package of perceptions of fantasy, and imagination that domesticated where Plato Weaves us Utopian fiction, only picturesque from perceptions of philosophers The importance of philosophical fiction in creating ideas and hypotheses to the science which vary from one school to another from one nation to another

الفكرية والأسس وهي تخضع أحيانا لعوامل إعاقة أو عوامل تنمية .

ولقد استثمر أفلاطون الخيال بطريقة مختلفة ، فخياله هو خيال مثالي أما أرسطو فخيال واقعي بمعنى أنه يقترب من الحاضر لا المستقبل وهو أيضا يقرب بين التصورات وبين الواقع أو على الأقل يقوم بتأطير الخيالات والتصورات والأفكار المختلفة بصيغة الواقع أو بقابليتها على النزول لأرض الواقع ، فالخيال الواقعي هو الأكثر فائدة أما الخيال المثالي فهو الأكثر خصوبة .

وبمقارنة الخيال والفكر وخصائصهما يتضح أن الخيال هو الأقدر على الإبداع والتطور والتجديد كما تبين في البحث أن فرق الخيال العلمي عن الفلسفي يشبه بالتأكيد اختلاف مرتكزات الفلسفة عن العلم فالأخير بمنهجه وخياله مقنن ويرتكز إلى القانون ويرتبط كثير بالمنطق والعقل ويعطي النتائج الثابتة وهو لا يحب المغامرة والتطلع إلى مديات أخرى كما انه يستفاد بصورة مباشرة من المعطيات الخيالية التي تقدمها له الفلسفة ، أما خيال الفلسفة فترتبط من دون شك بالميتافيزيقا وتنحو بنحو عدم إعطاء الرأي القاطع والنهائي لمعرفة الأشياء ، ولكنها العنصر الخلاق الذي يعطي للعلم الفرض المحتمل أو المفقود .

ويمكن القول أن الخيال في الفلسفة الإسلامية سار بخطين الأول : يتعلق بخيال الأفكار الداخلية الخارجية (المكررة من اليونان) ، والثاني : هو خيال التصميم والتشكيل .

وما نسبته ٦٥% من الأفكار الفلسفية هي مستورده من افكار اليونان ، وكان بإمكان الفكر الإسلامي تقديم الفلسفة الخاصة به لو اتجه بشكل كلي وجدي إلى المعطيات القرآنية أو الخصائص الإسلامية بالبحث والتحليل والتركيب وتنشئة علم يسير بمختلف الاتجاهات من الملاحظة والتجربة واستشراق العلوم المختلفة وبمساعدة العلوم القرآنية . وهناك خط شبه مستقل قام ببناء تجربة مهمة في الفكر الإسلامي وهو ما تمثل بالعرفاء والمتصوفة والاشراقيين ، في الجانب العلمي كان الخيال كبيرا ومنتجا في جوانب الحيل ( الفيزياء) والكيمياء والبصريات والطب والفلك والهندسة والرياضيات وغيرها ومع هذا

because of different circumstances .  
And its importance lies in its ability  
to highlight the creativity and  
excellence in research talk about  
fantasy in Greek philosophy and  
Islamic and Western characteristics  
for each of the phases in addition to  
the comparison in the philosophical  
and scientific side and the  
imagination and thinking.

## الهوامش

١- معجم لالاند -معجم مصطلحات الفلسفة  
النقدية والتقنية ،تعريب خليل احمد خليل، ٣  
مجلدات، بيروت، ٢٠٠١، A-G ، ص ٦٠،  
ويورد ألفاظا ذات ارتباط بالخيال مثل الخيال  
خلاق ، خيال تجديدي ،خيالات متتالية ، خيالات  
نوعية .

٢ - د.جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج ١، دار  
الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٥٤٦-  
٥٤٧ .

٣- د.لطفى الشريبي معجم مصطلحات الطب  
النفسي ،مراجعة د.عادل صادق ، تحرير مركز  
تعريب العلوم الصحية ، الكويت ، بلا تاريخ ،  
ص ٨٥ .

٤ - معجم مصطلحات الطب النفسي ، المصدر  
السابق ، ص ٥٧ .

٥ - محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من  
جواهر القاموس، دراسة وتحقيق علي شيري،  
دار الفكر بيروت لبنان، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ،  
مادة خيل، مجلد ١٤، ص ٢٢١ .

٦ - الخليل الفراهيدي، كتاب العين ، ٤ اجزاء  
، ط ٢ ، تحقيق د. مهدي المخزومي - د. ابراهيم  
السامرائي مؤسسة دار الهجرة ، ١٤١٠هـ - ش ،  
ج ٤ ص ٣٠٦ . ابن منظور ،لسان العرب ، ١١  
جزء ، نشر أدب الحوزة ، قم ، ١٤٠٥ هـ - ش  
، ج ١١ ص ٢٢٦ .

٧ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم  
مقاييس اللغة، تحقيق و ضبط عبد السلام هارون  
، ط ١، دار الجيل، ٢م ، مادة خيل، بيروت  
، ١٩٩١ ص ٢٣٥-٢٣٦ .

٨ - ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية ، مؤسسة  
النشر الإسلامي - جماعة المدرسين، ط ١، قم  
، ١٣١٢هـ.ق، ص ٤٩٣ .

٩ - ابو هلال العسكري، الفروق اللغوية  
، ص ١٢٧ .

١٠ - معجم لالاند ، المصدر السابق ، ص ٦١٦  
١١ - الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين ،  
ج ٧ ص ٤٤٩ .

١٢ - ابن منظور ،لسان العرب ، ج ٩ ص ٢٢٥ و  
ص ٢٢٨ .

١٣ - حول الفتازيا يشار إلى ان الخيال حركة  
متولدة عن الإحساس بالفعل وهو يستمد مادته  
من حاسة البصر لهذا اشتق لفظ فتازيا أي الحس  
المشترك مع النور راجع د.علي محمد ، الخيال  
في الفلسفة ، ص ٢١ .

١٤ - رشيدة كلاع ، الخيال والتخيل عند حازم  
القرطاجني بين النظرية والتطبيق ، رسالة  
ماجستير اشرف د.العلمي لراوي ، جامعة  
منتوري قسنطينية ، ٢٠٠٥ ، ص ٣٣ .

١٥- هناك من يطلق مفهوم التفكير الواقعي في  
مقابل التفكير الخيالي (او التخيلي ) وهو ما يقوم  
على الخبرات الحسية المباشرة او الصورة  
العقلية التي يزودنا بها الإدراك الحسي ويربط  
هنا التفكير بالواقع اما الخيالي كما يقول فهو  
عبارة عن إعادة تركيب الخبرات السابقة في  
أنماط جديدة من التصورات او الصور الذهنية  
التي لدينا عن الموضوعات . انظر د.هاني عبد  
الرحمن كروم ، التصور العقلي ، مكتبة وهبة ،  
ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٩م ، ص ١٧ . والحقيقة ان  
مفهوم الخيال الواقعي يعطينا صورة مهمة عن  
دور الخيال في الإبداع والاكتشاف لان العديد  
من المنتجات او الأفكار او التشكيلات  
والتصميمات اليوم تأتي من طريقة في التعامل  
الخيالي ويلعب تطوير وتنمية الخيال الدور  
الأساس في انتشارها وولادتها اما قضية التفكير  
الواقعي فهو يقربنا من علاقات مجتمعية او آراء  
وأفكار مختلفة وحتى في الجانب العقائدي او  
الديني فان للجانب الخيالي الدور الأبرز في فهم  
الآخرة والبعث والحساب والقيامة بل ومحاولات  
معرفة الخالق .

- ٢٩ - رشيدة كلاع ، الخيال والتخيل عند حازم القرطاجني بين النظرية والتطبيق ، ص ١٦ .
- ٣٠ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، ص ٥٩ .
- ٣١ - د.عاطف جودة نصر ، الخيال موضوعاته ووظائفه ، ص ٣١-١٤ .
- ٣٢ - ابن سينا ، كتاب الشفاء-النفس ، تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد ، مراجعة ابراهيم بيومي مذکور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥م ، ص ١٤٧ .
- ٣٣ - ابن سينا ، النجاة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٠هـ ، النجاة ص ٢٦٦ .
- ٣٤ - ابن سينا ، كتاب الشفاء- النفس ، تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد ص ١٥١-١٥٥ .
- ٣٥ - د.عاطف جودة نصر ، الخيال موضوعاته ووظائفه ، ص ٥٠ .
- ٣٦ - دراسة الكاتب دبوراً بلاك ترجمة زيد العامري الرفاعي ، رابط : موقع المثقف <http://almothaqaf.com/index.php>
- ٣٧ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، ص ٧٧ .
- ٣٨ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، ص ١٠٤ .
- ٣٩ - ابو بكر محمد بن باجه الأندلسي ، كتاب النفس ، حققه د. محمد صغير حسين المعصومي ، دار صادر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ١١ .
- ٤٠ - رشيدة كلاع ، الخيال والتخيل عند حازم القرطاجني بين النظرية والتطبيق ، ص ٢٢ .
- ٤١ - برتراند رسل ، حكمة الغرب ، الجزء الأول ، ترجمة فؤاد زكريا ، ص ٣٠ ايضا انظر ص ١٣٣ وفيه يقول ان أرسطو اساء للعلم إساءة بالغة في ميدان الفلك فقد قال بعالم ما تحت وما فوق الفلك وعده رسل جنونا وإسرافا بالخيال بالمقارنة مع علم الفلك المتقدم .
- ٤٢ - محمد نور الدين افاية ، المتخيل والتواصل ، ص ١٥-١٦ .
- ٤٣ - د.علي محمد ، الخيال في الفلسفة ، ص ٣٠ .
- ٤٤ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، ص ٢١-٢٤ .
- ٤٥ - عاطف جودة نصر ، الخيال مفهوماته ووظائفه ، ص ١٥-١٦ .
- ١٦ - د.شاكر عبد الحميد ، الخيال من الكهف الى الواقع الافتراضي ، ص ١٣٦-١٣٧ .
- ١٧ - الحسين الحاييل ، الخيال أداة للإبداع ، ط ١ ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط المملكة المغربية ، ١٩٨٨ م ، ص ٢٣ .
- ١٨ - د.عاطف جودة نصر ، الخيال موضوعاته ووظائفه ، ص ١٠-١١ .
- ١٩ - د.عاطف جودة نصر ، الخيال موضوعاته ووظائفه ، ص ١٤ .
- ٢٠ - أرسطو طاليس : كتاب النفس ، نقله إلى العربية أحمد فؤاد الأهواني ، ط ٢ ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٢ م ، ص ١٠٧ .
- ٢١ - د. علي محمد هادي ، المصدر السابق ، ص ٢٢-٢٣ .
- ٢٢ - د.عاطف جودة نصر ، الخيال مفهوماته ووظائفه ، ص ٩-١١ يعلل المؤلف ان أرسطو قال ان التخيل حركة ناتجة من الإحساس لسببين الأول ان الإحساس والإدراك هما أصل التخيل والثاني ان كلمة الحركة الواردة في التعريف تدل من قريب على ان التخيل عملية ديناميكية لان التخيل ناتج من الإحساس وصور الإدراك الحسي قد تبدو متشابه لصور التخيل مع فارق القوة والضعف ، وصور التخيل اكثر غموضا وضعفا من صور الإحساس انظر المصدر نفسه الصفحة ذاتها .
- ٢٣ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، ص ٢٨ .
- ٢٤ - محمد عثمان نجاتي ، الادراك الحسي عند ابن سينا ، ص ١٦٨ .
- ٢٥ - ارسطو ، الخطابة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩ م ، ص ١٨٦ .
- ٢٦ -- د. علي محمد هادي ، المصدر السابق ، ص ٩٥ .
- ٢٧ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ، ص ٤٨ .
- ٢٨ - أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبي ريذة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٠ م ، ج ١ ص ١٦٧

- ٤٩ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ،ص٢٨-٢٩
- ٥٠ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ،ص٣١
- ٥١ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ،ص٤٠

- ٤٦ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ،ص٢١
- ٤٧ - د.محمود عثمان نجاتي ، الدراسات النفسية عند العلماء المسلمين ،ص٢٤
- ٤٨ - محمد نور الدين افاية ، المتخيل والتواصل ، ص٢٠.

## المصادر

- ١١ . ابن سينا ، كتاب الشفاء-النفس ، تحقيق جورج قنواتي وسعيد زايد ،مراجعة ابراهيم بيومي مدكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٥م
- ١٢ . أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبي ريدة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٠م
- ١٣ . ارسطو ، الخطابة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٩م
- ١٤ . أرسطو طاليس :كتاب النفس، نقله إلى العربية أحمد فؤاد الأهواني ، ط2 ، دار إحياء الكتب العربية ، ١٩٦٢م .
- ١٥ . الحسين الحايلى ، الخيال أداة للإبداع ، ط ١ ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط المملكة المغربية ، ١٩٨٨م .
- ١٦ . دهاني عبد الرحمن كروم ، التصور العقلي ، مكتبة وهبة ، ط ١ ، القاهرة ، ١٩٩٩م .
- ١٧ . رشيدة كلاع ، الخيال والتخيل عند حازم القرطاجني بين النظرية والتطبيق ، رسالة ماجستير اشراف د.العلمي لراوي ، جامعة منتوري قسطنطينية ، ٢٠٠٥ .
- ١٨ . ابن سينا ، النجاة ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٩٣٠هـ ، النجاة
- ١٩ . دشاكر عبد الحميد ، الخيال من الكهف إلى الواقع الافتراضي ، عدد ٣٦٠ ، عالم المعرفة ، الكويت ، ٢٠٠٩م .
- ٢٠ . محمد نور الدين افاية ، المتخيل والتواصل - مفارقات العرب والغرب - ، دار المنتخب العربي ، ط ١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

- ١ . معجم لالاند -معجم مصطلحات الفلسفة النقدية والتقنية ،تعريب خليل احمد خليل، ٣ مجلدات، بيروت، ٢٠٠١، A-G .
- ٢ . د.جميل صليبا ، المعجم الفلسفي ، ج ١ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٨٢ .
- ٣ . د.لطفى الشربيني معجم مصطلحات الطب النفسي ،مراجعة د.عادل صادق ، تحرير مركز تعريب العلوم الصحية ، الكويت ، بلا تاريخ .
- ٤ . محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، دراسة وتحقيق علي شيري ، دار الفكر بيروت لبنان ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، مادة خيل ، مجلد ١٤ .
- ٥ . الخليل الفراهيدي ، كتاب العين ، ٤ اجزاء ، ط ٢ ، تحقيق د. مهدي المخزومي - د.ابراهيم السامرائي مؤسسة دار الهجرة ، ١٤١٠هـ ش .
- ٦ . ابن منظور ، لسان العرب ، ١١ جزء ، نشر أدب الحوزة ، قم ، ١٤٠٥هـ - ش .
- ٧ . أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق و ضبط عبد السلام هارون ط ١ ، دار الجيل ، م ٢ ، مادة خيل ، بيروت ، ١٩٩١ .
- ٨ . ابو هلال العسكري ، الفروق اللغوية ، مؤسسة النشر الإسلامي - جماعة المدرسين ، ط ١ ، قم ، ١٣١٢هـ ق .
- ٩ . دراسة الكاتب دبوراً بلاك ترجمة زيد العامري الرفاعي ، رابط : موقع المثقف <http://almothaqaf.com/index.php>
- ١٠ . ابو بكر محمد بن باجه الأندلسي ، كتاب النفس ، حققه د. محمد صغير حسين المعصومي ، دار صادر ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٩٢ .

٢١. د. عاطف جودة نصر ، الخيال  
موضوعاته ووظائفه ، الهيئة المصرية للكتاب  
، مصر ، ١٩٨٤ م .
٢٢. د. محمود عثمان نجاتي، الدراسات النفسية  
عند العلماء المسلمين، دار الشروق ،  
بيروت، القاهرة ، ١٤١٤ هـ .
٢٣. ابن سينا ، كتاب الشفاء-النفس ، تحقيق  
جورج قنواطي وسعيد زايد ، مراجعة إبراهيم  
بيومي مذكور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب  
، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
٢٤. برتراند رسل، حكمة الغرب ، الجزء  
الأول، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة ،  
الكويت ، العدد ٦٢، الكويت ، ١٩٨٣ .
٢٥. د. علي محمد هادي الربيعي ، الخيال  
في الفلسفة والأدب والمسرح ، ط١، بغداد  
، ١٤٣٣ هـ .





الجائز والواجب ولا يجوز أن يتوهم الإنسان ما يمتنع كونه، ألا ترى أنه لا يجوز أن يتوهم الشيء متحركاً وساكناً في حال واحدة<sup>(٩)</sup>.

وفي معجم لالاند الوهم كل ضلالة وتعد مفردة تقابل الهلوسة وهي عرض زائف ليس مصدره معطيات الإحساس ذاتها بل طريقة التأويل الإدراكي للإحساس وفي علم النفس يميز بين عدة أنواع من الأوهام منها الطبيعية والإدراكية المكتسبة<sup>(١٠)</sup>.

وفي تحليل لمفهوم الطيف مع الخيال يقول الفراهيدي ، كل شيء يعشي البصر من وسواس الشيطان فهو طيف وما في الأشعار من الطيف نحو قوله (أرقي زائر طيف أرقا ) يعني أنه يرى خيالها في منامه فذلك طيفها<sup>(١١)</sup> وهو ما قاله ابن منظور وجاء في كتاب لسان العرب<sup>(١٢)</sup> ، عن الطيف وطيف الخيال. ففي حديث قال بعض القوم قد أصاب هذا الغلام لمم أو طيف من الجن أي عرض له عارض منهم وأصل الطيف الجنون ثم استعمل في الغضب ومسّ الشيطان يقال طاف يطيف ويطوف طيفاً وطوفاً فهو طائف ثم سمي بالمصدر، ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم وفي الحديث طاف بي رجل وأنا نائم والطيف سواد الليل وأنشد :

عقبان دَجَنٌ بادرتُ طيفاً طيفُ الخيال مجيئه في النوم وقال أمية بن أبي عائد : ألا يا قومي لطيف الخيال، أرق من نازح ذي دلال

### الخيال اليوناني

#### محاولة استبطان

في الخيال الفلسفي العام واليوناني على نحو خاص الكثير من الخصوبة ربما لأنه اقترب حينها من الأسطورة ويتدرج هذا الخيال بمراحل تشابه مرحلية الفكر اليوناني ، والخيال لا ينفك عن ملازمة الفكر، لكنه يقفز أحيانا على الجانب المنطقي ليقدّم لنا أفكاراً مختلفة أو مميزة ، وهو يختلف في مرحلة ما قبل سقراط عنه في تنظيرات سقراط وأفلاطون ،ومن ثم يختلف أيضا في مرحلة أفلوطين ، وعلى هذا الأساس فان تقسيم التراث الفلسفي اليوناني على وفق منهج الخيال سيكون كالآتي :

١- خيال الفكر القديم او المدارس الطبيعية .

٢- خيال سقراط وأفلاطون وأرسطو.

٣- خيال أفلوطين .

وسوف لن نناقشها على هذا الأساس الخاص إذ ان لكل قسم خصائصه ، ففي المرحلة الأولى امتاز بالميتافيزيقا وبحث الطبيعة والعلل الأولى وفي الثانية خص الإنسان والمعرفة وفي الثالثة خص الروح والمعرفة الروحانية ، ومع تداخل بعض الأفكار مع مجمل المراحل فان الناظر بصورة عميقة يعرف أن هناك سمات ثابتة لذلك الخيال ولتلك المراحل .

إن المعادلة اليونانية في مجال الفكر المتخيل تسير وفق مبدأ (الخيال x الأفكار تقسيم العقل) ، فلو جعلنا لكل مفردة (وحدتان) فسنجد أن النتيجة هي إنصاف الحقائق .

والنتيجة أن نصف الفكر اليوناني القديم ينتمي إلى الخيال والنصف الآخر مناصفة مع العقل والعلم والتجربة ، وذلك يعني ان الأفكار المتخيلة فيها نسبة ضعيفة من الجانب الوثوقي والإفان الخيال بحد ذاته ينتمي إلى الجانب العقلي الذي له القيمة على الخيال وهذه إشكالية أخرى فربما قام الخيال بتشتيت العقل أحيانا لأن الخيال هو مركب من المعطيات الحسية وبعض القوانين الفكرية والأسس وهي تخضع أحيانا لعوامل إعاقة أو عوامل تنمية .

والعقل يحاول اكتشاف الأشياء أو تصورهما بطريقة مقصودة أو غير مقصودة ، كما في مدارس الوحدة والكثرة والتغير والثبات والذرة والعدد وأفكار أفلاطون وأرسطو وأفلوطين .فالتخيل هو فكر ميتافيزيقي أو هو فكر واسع للخروج من سقف واطر الواقع المعاش إلى مواطن خصبة ووعرة ، فكان خيال القدماء من الفلاسفة جارفا ، قويا وهو يتجه إلى خارج نطاق الجسد والعقل على حد سواء ومع أن الأفكار التي استخدمت تمتزج بالطبيعة كما في أفكار :

( انطفاء الشمس بالبحر ، السنة الكبرى ، النار ، ذرات ديمقريطس ، ولادة الكائنات من الأرض لابنأدوقلس ، خليط انكساغوراس ، وغيرها ) إلا أن جانباً مهماً يتمثل بالأفكار التجريدية يُعد الجانب الأكثر حيوية وخصوبة كما في أفكار ( المحبة والكراهية واللوغوس وعقل انكساغوراس والمحرك الذي لا يتحرك بكونها فواعل في تحريك الأشياء ، فضلا عن عالم المثل الأفلاطوني وفكرة الكينونة وقوانين الهوية لبارمنيدس يضاف لها التجريد الخاص بعدد

فيثاغورس والمعينة التجريد الخيالي الخاص بمنطق أرسطو ) .

ويمكن القول ان الفلاسفة القدماء كانوا أكثر انفلاتا في الخيال من مرحلة سقراط وتلميذه وهو خيال وظف بلا دراية معرفية تستند على مغامرة للاكتشاف وهي مصحوبة ببداية التأسيس المعرفي والفلسفي ، وهذا ما يشفع لها وهو ما قام بتلافيه الفلاسفة اللاحقين مثل أرسطو وأفلاطون .

مع هذا وبالمقارنة مع الأمم المحيطة فإن الخيال اليوناني كان رائعا ، فسقراط حوله من التفكير في الجانب الطولي والعرضي ، البيئي والميتافيزيقي إلى التفكير في الذات ، في محاولة تخيل دواخل الإنسان ، لأن منظومة السفسطائية قدمت حزمة من الخيالات الفاسدة التي تستند على التلاعب بالألفاظ وتشتيت العقل ، فالعقل ربما يحير هنا بين مفهومين أيهما الأصح إلا أنه يميز من خلال تثبيت الماهيات بين صور الأشياء وانطباق المعنى عليها وهنا يلعب العقل والخيال الدور الأساس في تثبيت نظرية المعاني وتبيان حدود الأشياء وفي إعادة تشكيل الأشياء وتثبيت وتطبيق ثنائية المعنى والشئ ومن ثم إخراج المبدأ الماهوي التام وحتم تعريف الماهيات .

وأفلاطون من جهة أخرى استثمر الخيال بشكل رائع في محاوراته على الرغم من استبعاده للفنتازيا<sup>(12)</sup> وهو يمزج الخيال أحيانا بالأسطورة والأخلاق والسياسة والمعرفة والميتافيزيكا كما في المثل واليوتوبيا ، اما أرسطو فعمد الى تقنيين الخيال في مجال الطبيعة ليقدم تجريداً مهماً هو المنطق ، مع جهوده في التحليل الميتافيزيقي .

وربما تكمن أهم تخطيطات أفلاطون التي جادت بها قريحته التصويرية :

- تصميم وتشكيل الدولة وملحقاتها.
- تصميم وتخييل الحوارات الفكرية
- بناء عالم المثل الخيالي تصورات ميتافيزيقية مهمة ترتبط بالعالم الآخر والنفس .
- خيالات مهمة تخص الرياضيات والهندسة.
- البناء التصوري الشمولي للمدينة الفاضلة.

ومع هذا يُعد أفلاطون الخيال نوعاً من الجنون العلوي، ووظيفة للنفس غير السامية، فحط من قيمته وعده وسيلة للتضليل لاعتمادها على ما تقدمه الحواس. هذه الأخيرة لا تقدم معارف حقيقية، بل يقدمها العقل بوصفها (الوسيلة الوحيدة القادرة على ذلك) لكن أرسطو التلميذ خالف أستاذه، محاولاً إعطاء شيء من الاعتبار للخيال، فنظر إليه على أنه حركة ذهنية ناشئة عن الحس، وجعله وسيطاً بين الإحساس والعقل<sup>(14)</sup>.

ويصح القول بأن خيال أفلاطون هو خيال مثالي أما أرسطو فخيال واقعي<sup>(15)</sup> بمعنى انه يقترب من الحاضر لا المستقبل وهو أيضا يقرب بين التصورات وبين الواقع أو على الأقل يقوم بتأطير الخيالات والتصورات والأفكار المختلفة بصيغة الواقع أو بقابليتها على النزول لأرض الواقع ، فالخيال الواقعي هو الأكثر فائدة أما الخيال المثالي فهو الأكثر خصوبة .

وفي طيماوس إشارة للفنتازيا فهناك نوعان من الصور الاصطناعية منها الصور الايقونية، والصور الخيالية أو الإيهامية، الأولى هي نسخة صحيحة من الأشياء اما الثانية ليست نسخا فحسب بل ايهامات وخذاعات مضللة ، ويختلف أرسطو عن أفلاطون في موضوع الخيال في إن الخيال أصبح ذا صبغة سيكولوجية لا فعلا خارجياً يتلقى الأشكال ويدرك المتشابه ، وثانيا أصبحت مهمته أشبه بشرط ضروري سابق للتفكير العقلاني بعكس فكرة أفلاطون حول العقل الذي لا يكون بحاجة إلى تلك الصور<sup>(16)</sup>. وهذا ما شددنا على تأكيده من أن أرسطو يعتمد منهجاً في تخطيطه التفكري قريبا من للإنسان فيما يتعلق بالمعرفة والاكتشاف وعدم الخوض في مستقبل بعيد أو أفكار ميتافيزيقية تستغرق في مجهول ربما يتحقق أو لا، في حين أن أفلاطون ينجح إلى مديات أخرى بعيدة في المعرفة والاكتشاف .

كما أنه في محاوره طيماوس اعترف للخيال بالقدرة على استحضار الرؤية الصوفية تلك التي تسمو على ما يتناولها العقل. وفي محاوره تثبت ذهب أفلاطون إلى أن التخيل والتذكر، وإدراك المحسوسات المشتركة وظائف للعقل لا الحس،

و أن أعضاء الحس لا تدرك الخصائص المشتركة بين موضوعات الحس، وإنما يدرك ذلك العقل والتخيل عنده يرسم في موضوعاته التي تصبح مادة التفكير، وهكذا يؤدي التخيل وظيفتين: استعادة صور المحسوسات واستخدام الصور الحسية في التفكير<sup>(١٧)</sup>.

لقد أورد فلوطرخس في الآراء الطبيعية مذهب أفلاطون والذي انتهى إلى أن الحواس اشتراك النفس والبدن في إدراك الشيء، أن القوة للنفس والآلة للبدن وكلاهما يدرك الشيء عن طريق الفنتازيا أي الخيال وأعضاء الحس لا تدرك الخصائص المشتركة بين الموضوعات وإنما يدرك ذلك العقل و وقع أفلاطون عندما جعل التخيل والتذكر وظائف للعقل في خلط بين التمثل والإدراك الحسي جعله يستبدل الأول بالثاني لأن التمثل صورة شعورية مختلفة عن الإدراك<sup>(١٨)</sup>. أما آراء أرسطو فقد ذهبت كما لخص لنا ابن رشد في الحاس والمحسوس الى أن الوعي يمر بخمس مراحل أولها جسماني كثير القشر وصور المحسوس خارج النفس وثانيها وجود هذه الصور في الحس المشترك وهو أول مراتب الروحانية وثالثها وجود الصورة في القوى المتخيلة وهو أكثر روحانية من الأولى ورابعها وجودها في القوى المميزة وخامسها وجودها في القوى الذاكرة<sup>(١٩)</sup>.

والتخيل عند أرسطو هو الحركة المتولدة عن الإحساس بالفعل. ولما كان البصر هو الحاسة الرئيسية فقد اشتق التخيل فنتازيا Phantasia اسمه من النور " فاوس Phaos " إذ بدون النور لا يمكن أن نرى؛ ولما " كانت الصور تبقى فينا وتشبه الإحساسات فإن الحيوانات تفعل أفعالاً كثيرة بتأثيرها، بعضها لأنها لا يوجد عندها عقل وهذه هي البهائم، وبعضها الآخر لأن عقلها يحجب بالانفعال، أو الأمراض، أو النوم، كالحال في الإنسان<sup>(٢٠)</sup>.

ويرى أرسطو إن الوهم يختلف عن الحس وعن التفكير وهو حالة تخيل أشياء لا وجود لها في الحقيقة، فالتفكير هو حكم على الأشياء لا يتعلق بإرادة بينما صور التخيل تخضع للإرادة والتخيل قد يكذب في موضوعات الحس الخاصة بينما تصدق هذه الحواس، والتخيل غير الظن المصحوب بالإحساس وليس هو المركب منهما،

وأن قيمة الخيال عند أرسطو ضرورية للتعلم والفهم وهو الوسيط بين الإحساس والعقل والأخيلة هي موضوع التفكير العقلي<sup>(٢١)</sup>.

وقد ربط الفلاسفة اليونان الخيال بالإدراك. فعند أرسطو يشير الخيال إلى حركة يسببها الإحساس بحيث لا يتأتى للخيال والإحساس ما لم يتأت وجود التصور وليس الخيال والتصور بمتطابقين، وكشف أرسطو عن طبيعة العلاقة بين الخيال والإدراك وميز بين الإدراك الحسي والعقلي وذلك لأن صحة الإدراك بالعقل فهم وعلم والإدراك به على غير صحة خلاف ذلك كله<sup>(٢٢)</sup>.

وعرف الإدراك الحسي بأنه مسؤول الذكريات في الشعور من أجل الاستجابة للموقف الراهن والفرق بين الإدراك الحسي والتصور الخيالي أذ أن الإدراك مرتبط بمقتضى الحاجات العملية للإنسان ويتطلب جهداً لتحقيق اجتناب المؤثرات الحاضرة أما التصور الخيالي فإنه نفوذ صور الذاكرة من دون أن يكون ثمة ما يلائم هذه الصورة من الحاجات العملية، والتصور هو تحول الصورة من القوة إلى الفعل<sup>(٢٣)</sup>.

وتتكون وظيفة الإدراك الحسي من الإحساسات الأولية بالكيفيات الحسية وإدراك المحسوسات المشتركة والعرضية والجمع بين الإحساسات المختلفة والمقارنة والتمييز بينهما، وإدراك المحسوسات العرضية يستلزم اشتراك الذاكرة وهذه الوظيفة الراقية يقوم بها الحس المشترك لأنه المركز الذي يتلاقى عنده إحساسات الحواس المختلفة، وفي الحس المشترك يحدث تذكر المحسوسات السابقة باستعانة المصور وهو في الحقيقة مركز التخيل<sup>(٢٤)</sup>. ويقول أرسطو بهذا الصدد ان التفكير مستحيل من دون صور<sup>(٢٥)</sup>.

إن التمييز بين التذكر والخيال يشير إلى اتصال التذكر بالماضي بينما يتصل الخيال بالمستقبل، ويرى البعض أن الصور المتخيلة تتمركز في التفكير ويرى الآخر إنها نتيجة للتفكير وهناك من يعدها عملية توفيقية فالشخص الذي يعتمد على التفكير الاستقرائي وفق الباحث بيبليشاين وهو منتج للتفكير الموجه بوساطة المعرفة ويعتمد على الجانب الأيسر من المخ أما صاحب التفكير الاستدلالي فعلى النقيض يكون أكثر

- معرفة متحركة تبحث عن انفصال عن الزمان والمكان .
- أحيانا يكون بلا أساس منطقي وهو لا يرتبط غالبا بالواقع بشكل تام .
- العامل الأساس في قضية الفروض العلمية .
- قوته في قدرته على تحرير الأشياء وإعادة قولبتها .
- يعتمد التصميم والتشكيل .
- علاقته بالماضي والحاضر والمستقبل .
- عنصر مهم في الدراسات المستقبلية .
- هو نوع من الراحة النفسية أو الشرود الذهني .
- يحاول القفز على التعقل .
- يرتبط بشكل صميمي بما بعد الحداثة .
- هو اقرب إلى الفن والأدب والصناعة .

ومن هذا يتضح ان الخيال هو الأقدر على الإبداع والتطور والتجديد

### الخيال العلمي والخيال الفلسفي

إذا كان الخيال الأسطوري تقدم على جميع الخيالات التي ابتدأت مع بداية البشرية فإنه يحدث أن يتقدم خيال العلم على الخيال الفلسفي فخيال العلم هو صنعة متقنة عند الأمم القديمة ومن الغريب ان تبتدئ الأمم القديمة بالعلم قبل الشروع في الحكمة ، وهو أمر ينقض ادوار او كست كومت الثلاث ، ولكنني اعتقد بأن الطغاة دائما يعمدون وبشكل نفعي إلى تبني منجزات بنائية وحضارية تؤسس لتخليدهم ومن ثم فهي استمرار يعتمد على أثر مادي ، ولا يعني ذلك عدم الاهتمام بالحكمة ، فلها وجودها إلا إنها ليست ثقافة مجتمعية إيمانية يروج لها كما عند اليونان وأخذت مساحة من الإعلام والتدوين فيما بعد، كما أن للظرف الذي تعيشه الحضارات القديمة قبل اليونان من عدم الاستقرار والحروب وعدم التدوين أو ضياع التدوين أو عدم اكتشافه إلى لحضتنا هذه حال من دون معرفة الحقيقة كاملة .

وعلى أي حال فالقول: إن العقل واحد لجميع البشر يعني أن الخيال أيضا واحد لجميع البشر ومن ثم فان ما يعيق إنتاج عن آخر هو مجموعة الظروف الوراثية والبيئية التي تمنع امة من تحقيق منجز أحرزته الأخرى ، والخيال الذي

انقيادا لصورة المخيلة منطلقا من اعتماد الجانب الأيمن من المخ وفق رأي الباحث كوسلين والخيال على نحو عام يساعد على التفكير المجرد (٢٦) .

ولأفلوطين مسألتين مهمتين تخص هذا الموضوع ، الأولى علاقة الذاكرة بالمخيلة والثانية تمييزه بين الذاكرة الشعورية وغير الشعورية ، ومذهب أفلوطين يشير أن للمعاني صوراً في شكل صيغ لفظية أما الفكر ذاته فلا صورة له وعلى ذلك فالمحسوسات يكون تذكرها عن طريق المخيلة وبما تبقى فيها من صور أما المعقولات فلا صور لها إلا من حيث ألفاظها فحسب ومن ثم تكون الذاكرة الخاصة بها ملكة مستقلة عن المخيلة (٢٧) .

### التفكير والخيال

يمكن مقارنة التفكير والخيال على هذا النحو :  
التفكير

- هو عمليات عقلية تساعد على استثمار القواعد الخاصة بالفكر الإنساني بالاستفادة من المعطيات الحسية لمعرفة كيفية التعامل مع الذات والآخر واكتشاف الأشياء .
- يستخدم آليات عامة، وهو عملية أساسية وشاملة
- استخدام معرفة نمطية ترتبط بالزمان والمكان.
- هو منطقي واقرب إلى الواقع .
- الأساس الذي يستند عليه هي الفروض العلمية والثوابت والوقائع .
- قوته في الإثبات والإقناع.
- يعتمد البرهان والاستنتاج.
- علاقته بالماضي والحاضر والمستقبل.
- هو اقرب للفلسفة والعلوم والعقل الواقعي.

### أما الخيال

هو مزيج من المعطيات الحسية والعمليات العقلية ونتائجه تحقق قفزة مهمة في عمليات التفكير .

- آليات متطورة تعتمد التغيير .
- هو جزئي ويشير إلى قفزة في التفكير وفي التصميم والتشكيل والتغيير .



يعد وسيلة العقل التنموية هو من يقدم أفكارا مبتكرة جديدة لتقدم الأمم على مستويات العلمي والسياسي والثقافي والحضاري وهو ما برعت فيه الأمم السابقة لليونان ، وهناك استخدامات أخرى قديمة للخيال بعضها جزئي كما في إدارة الحرب والزراعة وطرق المعيشة والسياسة والأخر سمته الكلية وهو يتعلق بطرق بناء الدولة والتخطيط للمستقبل ومحاولة تصور العلة الفاعلة في الكون وبناء الآثار الخالدة وذلك يعني أن العناصر الأساسية الخيالية للأمم السابقة تتسم بأنها عامة وإستراتيجية بمقابل تفكير وتخطيط وتدبير حياتي بسيط ، ويعتمد تطور المجتمع على الحاجة التي تدفع بالآخرين إلى التخطيط والتصميم والتشكيل وهو جهد يستند إلى خيال بسيط أو خيال نوعي وهذا الأخير يخلد لتمييزه أو لفائدته .

إن فرق الخيال العلمي عن الفلسفي يشبه بالتأكيد اختلاف مرتكزات الفلسفة عن العلم فالأخير بمنهجه وخياله مقنن ويرتكز الى القانون ويرتبط كثيراً بالمنطق والعقل ويعطي النتائج الثابتة وهو لا يحب المغامرة والتطلع الى مديات أخرى كما انه يستفيد على نحو مباشر من المعطيات الخيالية التي تقدمها له الفلسفة ، أما خيال الفلسفة فيرتبط من دون شك بالميتافيزيقا وتنحو الى عدم إعطاء الرأي القاطع والنهائي لمعرفة الأشياء ، وأنها العنصر الخلاق الذي يعطي للعلم الفرض المحتمل او المفقود .

## الفصل الثاني

### الخيال في الفلسفة الإسلامية والغربية الخيال في الفلسفة الإسلامية

نبدأ غالبا في الفلسفة الإسلامية مع الكندي الذي يعدّ التوهم - وهو الفنطازيا عنده - قوة نفسانية ومدركة للصور الحسية مع غيبة طينتها، ويقال الفنطازيا هو التخيل، وهو حضور صورة الأشياء المحسوسة مع غيبة طينتها (٢٨).

ولم يتحدث الفارابي عن الخيال إلا مرة واحدة معتبرا إياه خزانة لما يدركه الحس، ويطلق عليه اسم "المصورة". وقد ربط الفارابي الأدب بالفلسفة، جاعلا الشعر أحد أجزاء التفكير الفلسفي وكانت نظريته إلى المحاكاة من منطلق نفسي، حيث أذ رأى أن المحاكاة الشعرية عند أرسطو بها بعض الثغرات وهو ما دفعه للحديث

عن طبيعة التخيل الشعري ومدى تأثيره في "القوة النزوعية" للمتلقّي، جاعلا التخيل جوهر الشعر وعماده ، ويُعد الفارابي أول من استعمل لفظ "تخيل" أخذا إياه ممن سبقه من الذين ترجموا كتاب "فن الشعر" لأرسطو فقد استعمله متى بن يونس ( ٣٢٨ هـ) في ترجمته لكتاب الشعر لكن مصحفاً باسم (التجميل أو التنجيل) ، والفارابي لم يحدد معنى التخيل وطبيعته، ولكنه تحدث عن الأثر الذي يتركه العمل الأدبي في نفس المتلقّي (٢٩).

كما يميز الفارابي بين المتخيلة والذاكرة من أن المتخيلة تقوم بجمع أو فصل صور المحسوسات بعضها عن بعض وبعضها كاذبة وبعضها صادقة و تقوم بتخيل الشيء الذي مضى وما سيأتي مستقبلا ، ويلاحظ إن الفارابي يضيف إلى المتخيلة في كتاب آراء أهل المدينة وظيفه حفظ صور المحسوسات بعد غيبته الحواس لكنه في فصوص الحكم يجعل المصورة مستقلة بذاتها وهي تقوم بوظيفة حفظ صور المحسوسات ، وتقوم المتخيلة بمحاكاة التأثيرات التي تقع أثناء النوم وأحيانا في اليقظة بأشياء محسوسة مما حفظ فيها ( ٣٠ ) بينما تعد الذاكرة القوة التي تحفظ المعاني التي يدركها الوهم ، إذن فهناك ذاكرتان ذاكرة لحفظ صور المحسوسات الخارجية وهي المصورة والأخرى لحفظ المعاني غير المحسوسة التي يدركها الوهم وهي الذاكرة .

بسط ابن سينا مذهبه في علاقة التخيل بالإحساس في قسم النفس من الشفاء والإشارات وتابع أرسطو ومذهبه الذي يقول أن الشيء قد يكون محسوسا عندما يشاهد ويكون متخيلا عندما يغيب بتمثل صورته في الباطن وأما الخيال الباطن فيخيله المحسوس مع عوارض الالين والتمنى والكيف والوضع ، لا يقدر على تجريده المطلق لكنه يجرده عن العلاقة التي تعلق بها الحس .وابن سينا والفارابي اهتما ببيان عناصر الإحساس وتشريح الدماغ ،مع ان ابن سينا تابع أرسطو في تصور القوى الباطنة وتحديد موقعها المصور في الأفق الحاس من الدماغ والمفكر في الموضوع الأوسط والذاكرة والحافظة في المؤخر من الدماغ (٣١).

وعنده أن المتخيلة هي القوة التي تقوم بتصرف في صور المحسوسات المحفوظة في المصورة

وقد تستعيدها كما هو في التذكر او بالتركيب بعضها إلى بعض أو فصلها وقد تطابق أو لا تطابق الواقع<sup>(٣٢)</sup> وهي تنصرف في المعاني الجزئية التي يدركها الوهم من المحفوظات ومركزها التجويف الأوسط من الدماغ<sup>(٣٣)</sup>.

ولها دور هام في التذكر فهي تنتقي من الصور المحسوسة والمعاني ما تشاء ويحدث أن تصبح الصور أكثر وضوحا فنلوح الصور في الحس المشترك والمعاني في القوة الوهمية فتصبح مدركة بالفعل أي متخيلة أو متذكرة<sup>(٣٤)</sup>.

إن ابن سينا يظهر تشابه بين الإدراك والخيال من حيث الوظيفة ولا فرق بينهما إلا من حيث ارتباطهما في الزمان فالذاكرة تستعيد صور المعاني التي أدركت في الماضي أما التخيل فيستعيد صور ويدركها من حيث هي صورة موجودة الآن ويضيف الحافظة الى الذاكرة ويعدهما قوة واحدة ذات وظيفتين هما الحفظ والاستعادة (التذكر) وتكون هذه القوة حافظة لصيانة ما فيها ومتذكرة لسرعة استعادتها لاستثباته ومتصوره له اذا ما فقد<sup>(٣٥)</sup>.

لقد طرح ابن سينا ثنائية ( قوى الاستقبال و الحفظ المقترنة عبر القوة المتخيلة) عن الحواس الباطنة وفيها: (١) الحس المشترك يستقبل الصور المحسوسة من الأحاسيس الخارجية بينما تقوم القوة المصورة أو الخيال بحفظ هذه الصور و(٢) القوة الوهمية تستقبل المعاني التي تقوم القوة الذاكرة بحفظها ، وأخيرا تقوم القوة المتخيلة بتركيب وتقسيم الصور المحسوسة ومعانيها مع بعضها البعض . ويبدو أن نشاط القوة المتخيلة نشاط عشوائي وغير موجه بذاته وربما حتى من دون وعي ، ويقدر كون القوة المتخيلة فعالة بالفطرة، فلا يبدو أنها تتوقف عن النشاط (العمل) لذا نجد وظائفها تستمر بصورة الأحلام عند نوم الحيوان ، ولهذا وفي حالة الوعي يكون لكل من القوة الوهمية أو العقل سلطة التحكم بوظائف القوة المتخيلة وفي حالة تحكم الأخير(أي العقل) فأنها لا تعمل بوصفها قوة متخيلة بل كقوة مفكرة ،فتوجد بينهما قوة متخيلة واحدة فقط في أي روح حاسة، سواء أكانت حيوانية أم بشرية، إلا إن هذه القوة المفردة، في حالة الروح الإنسانية لديها مظهرين أو صورتين مختلفتين اعتماداً على كيفية النظر

إليها من حيث جهة التحكم بها يعني تحكم العقل أو القوة الوهمية<sup>(٣٦)</sup>.

ويشير مسكويه إلى أن الحس المشترك يؤدي صور المحسوسات إلى القوى المتخيلة ، ولم يشرح بوضوح وظائف القوة المتخيلة إنما أشار إلى علاقتها بالرؤى والأحلام وتحدث عن تركيب صور المحسوسات بعضها إلى بعض لتكوين أمور غير موجودة في الحقيقة مثل حيوان مركب من حمار ونعجة أو إنسان يطير وإذ نسبها الكندي وابن سينا إلى المخيلة فإن مسكويه نسبها إلى الوهم ولم يوضح ماذا يعني الوهم ، وعنده إن مركز القوة المتخيلة في مقدم الدماغ<sup>(٣٧)</sup>.

وفي حديث إخوان الصفا عن القوى المتخيلة يتضح أن مركزها مقدم الدماغ وهي تجمع الصور المجموعة من الحواس الخمس لترسلها إلى المفكرة وفرق الأخوان عن الفارابي وابن سينا انهم يقولون بتجمع رسوم المحسوسات في المتخيلة بينما يكون الحس المشترك هو محل تجمع الرسوم عند الفارابي وابن سينا ولم يتطرقوا إلى الحس المشترك، وللقوى المتخيلة عدة أفعال أولاً: هي تتخيل المحسوسات بعد غيبتها من مشاهدة الحواس لها وثانياً: هي تتخيل ما له حقيقة أو ما ليس له وثالثاً: هي تؤلف بين رسوم المحسوسات وتركبها كما تشاء كأن تتخيل جملاً على رأس نخلة أو نخلة على ظهر جمل أو طائر بأربع قوائم ، إلا أن هذه القوة تعجز عن تخيل شيء لم تدركه حاسة من الحواس فالحيوان الذي لا بصر له لا يتخيل الألوان وما لا سمع له لا يتخيل الأصوات<sup>(٣٨)</sup>.

ويعلل ابن باجه المتخيلة بأنها استكمال لجسم متخيل إلي وهي تتقدم على الحواس فهي تخدمها بتقديم المواد إليها لهذا يوصف التخيل والحس بأنهما نوعان من إدراك النفس والفرق بينهما ظاهر فالحس خاص والتخيل عام والمتخيلة تنتهي الى القوة الناطقة التي بها يفصح الإنسان عما في ضميره وبها يكون التعليم والتعلم<sup>(٣٩)</sup>.

اما الغزالي فقسم الأرواح على أربع مراتب هي: الروح الحساس، الروح الخيالي والعقلي، الروح الفكري، والروح القدسي (النبوي)،وقد حصر دور الروح الخيالي في حفظ ما تقدمه الحواس من معارف ومدركات، كما عدّ الخيال إن من

بين خواص الخيال أنه ضروري لتضبط به المعارف العقلية كما يُعد الخيال وسيطا بين عالم الحس وعالم العقل، وهو أمر يشترك فيه مع غيره من الفلاسفة. والخيال عنده وسيلة مساعدة على المعرفة، وهو يشترك مع ابن سينا في اعتبار الخيال عاجزا عن التجريد المطلق للمحسوس عن مادتها ، وبذلك لا نجد عند الغزالي إشارة للخيال والتخييل الشعري ودورها في العمل الإبداعي، حيث إذ تركز حديثه -كما سلف الذكر- على الخيال الصوفي ودوره في المعرفة (٤٠).

ملاحظات على الخيال في الفلسفة الإسلامية

● يمكن القول ان الخيال في الفلسفة الإسلامية سار بخطين الأول : يتعلق بخيال الأفكار الداخلية الخارجية ، والثاني : هو خيال التصميم والتشكيل .

أما الأول فيشمل كل ما هو مطابق أو مخالف ومغاير أو كل الأفكار غير المكررة التي قدمت من اليونان وغيرها وغير المكررة، والثاني شمل المنتج الخارجي (الوجود المادي وغيره ) وهو يتعلق بالبناء والتخطيط والآثار ومعالجة العقل لها وتقديم أفضل التصورات لها لتبقى نافعة ومستمرة أو مميزة ونادرة ، ولو قمنا بعمل جدولة لتلك الأفكار لوجدنا :

١. ان ما نسبته ٦٥% من الأفكار الفلسفية هي مستورده من اليونان

٢. نسبة الإضافة على هذه الأفكار في الفلسفة ربما لم تبلغ ٥% في بداية الأمر ثم مع استمرار البحث الفلسفي وصلت إلى ما نسبته ٤٠% كما في أفكار ابن سينا ورشد والغزالي وعبقريه صدر الدين الشيرازي فضلا عن إلى جهود ابن عربي والسهروردي وكثير من فئات الفلسفة والفكر الإسلامي .

٣. كان للمتكلمين والمتصوفة وأصحاب العلم التجريبي مثل ابن حيان وابن الهيثم وأقرانهم الأثر المهم في إضافة لمسة شبه مستقلة في الفكر وذلك بالاعتماد على آراء المعتزلة التي استلهمت من الإمام علي (ع) ابرز الأفكار المختلفة عن البيئة الفكرية اليونانية والمتعلقة بفعل الإنسان والحرية والعلة

الفاعلة العظمى والوسطية في الفعل الإنساني وغيرها .

٤. كان بإمكان الفكر الإسلامي تقديم الفلسفة الخاصة به لو اتجه بشكل كلي وجدي إلى المعطيات القرآنية بالبحث والتحليل والتركيب وتنشئة علم يسير بمختلف الاتجاهات من الملاحظة والتجربة واستشراق العلوم المختلفة وبمساعدة حملة علوم القرآن .

٥. هناك خط شبه مستقل قام ببناء تجربة مهمة في الفكر الإسلامي وهو ما تمثل بالعرفاء والمتصوفة والاشراقيين وكلهم نحت خطأ مستقلا نوعا ما عن الحثيات اليونانية ، وحتى هذه اللحظة لم ينصف الباحثون لدينا المنهج أو الكتابات التي تعنى بالجانب الروحي.

٦. بدا مستوى خيال الفيلسوف الإسلامي في بداية نشأة الفلسفة (بسيطا) ثم تحول إلى الخيال (الهاضم) ثم (الفهم) وعندما بدأت مرحلة الإنتاج أو توليد الأفكار المختلفة والمغايرة فان الحضارة الإسلامية بدأت بالأفول مع انها الحضارة الأكثر عمقا وزمانا ، فعندما قدم صدر الدين الشيرازي نظرية الحركة الجوهرية للنفس والحركة في الجوهر (اجتهاد على أفكار أرسطو) والطبيعة ،فقد قدمها في نهاية حضارة أنفقت الكثير من الوقت في الصراع والحروب والتحديات الخارجية .

٧. في الجانب العلمي كان الخيال كبيرا ومنتجا في جوانب الحيل ( الفيزياء) والكيمياء والبصريات والطب والفلك والهندسة والرياضيات وغيرها ومع هذا فلم يروج للعلم بجعله الشغل الشاغل أو بجعله الصناعة الأهم بالنسبة للملوك واستعويض عن ذلك بتنمية الشعر والأدب والشعراء بغرض تحقيق بيئة للملوك يمجدون من خلالها أو يتنادمون .

٨. وأيضا في الجانب الإداري وطرق التقسيم السياسي والإدارية الناجحة والسياسية والاجتماعية وحتى الترفيهية نجد حركة تخطيطية تعتمد حراكا يبني على تخيل الأفضل .



٩. من الجوانب الخلابة والمعتمدة على التصميم والتشكيل والخيال هو الجانب الفني ففي رسم الخط العربي آفاقا ومساحات تصويرية واسعة ويشمل هذا الزخارف والبناءات الهندسية المختلفة وهي تدل على عقل مغامر ابتكر من دون الاعتماد على نسخ لم يستطع تغيير بعضه إلا بعد فترة طويلة كما حدث في الفلسفة ، ومن العلوم المرتبطة بالخيال أيضا علوم الفراسة والقيافة والرسم .

### الفلسفة الغربية والخيال

انتقد برتراند رسل قول طاليس بتوالد الأرض من الماء بأن فيه إسراف بالخيال (٤١) ومع دور الخيال المهم في مرحلة ما قبل سقراط كما وضحا في أفكار الفلاسفة القدماء وما بعده في الصورة الناصعة الخيال لأفلاطون أو لأفلوطين ، إلا أن عصر النهضة وتلافيا لكثير من الأفكار القديمة أو تواسلا معها تباين في ميله أو توظيفه للخيال والمخيلة . فنرى بأن ديكرت همش المخيلة وعدها مصدر التشويش والخطأ ، بينما أعطاها كانت أهمية في الفلسفة الترسندتالية ووضعها في نقد العقل الخالص بموقع وسط بين الإدراك والفهم فهي ليست مصدراً للمعرفة بل تمثل إطارا للإدراك وهو يسلم بالضرورة بأن المخيلة إطارا توحيدا للإدراك والمفهوم وهي شرط قبلي لوحدهما (٤٢). ومن الغرابة أن تجد ديكرت المجدد وهو يحمل هذه النزعة في رفض الخيال وهو الذي يهتم بالجانب الميتافيزيقي وعناصر الإلهام أكثر من كانت الذي استفاد من جوانب حيوية المخيلة لكونها تحمل خاصية تكسير القيود المحيطة بالأفكار ويولي كانت للتخطيط والمخيلة الجانب الأرحب في فلسفته .

فالإنسان بحسب كانت لا يستطيع التفكير بدائرة من دون ان يرسمها بذهنه أو التفكير بالزمان من دون رسم مستقيم خياليا أو الكم من دون تصور عدد ، ووفقا لذلك فإن الخيال يعد طرفاً وسطاً بين طرفين أولهما الحساسة (٤٣).

لقد أصبح الخيال على يد كانت عنصرا يسهم إسهاما أصيلا في تكوين هذا العالم ، في كتابه نقد العقل الخالص ونقد الحكم ، يقول كانت تحت عنوان الخيال في الاستنباط العالي أن الإدراكات المختلفة توجد في العقل على نحو

منفصل ، ويبدو ربطها على نحو يخالف وجودها في الحس مطلبا ضروريا ومن ثم يجب أن توجد فينا قدرة فعالة تتركب الكثرة التي يبيدها المظهر وليس هذه القدرة شيء آخر سوى الخيال ، وكانت لا يتناول الفهم والخيال بوصفهما متماتلين في القدرة التركيبية بل متآزرين في هذا التركيب ومذهبه أنه متى ما انطبقت على شيء تجريبي مقولة من مقولات الفهم بدا الخيال أمرا لا محيص عنه فيتولد شيء ثالث وهو يتسق مع الذهن والمظهر وهو الخيال وهو ما يجعل مقولة الذهن على المظهر أمراً ممكناً وعلى هذا النحو يفهم الخيال بوصفه وسطا بين طرفي الحساسة والفهم وفي ضوء ذلك يبدو أن الخيال والحس والفهم ثلاثة أسس لا بد منها لإمكان التجربة عند كانت وهو يتوصل إلى ثلاثية ١- فهم التمثلات ٢- إرجاع التمثلات في الخيال ٣- فهم التمثلات بوساطة التصور تأثر به جيل من الرواد منهم شلنج وفخته وهيجل كما تأثر به النقاد الشعراء في انكلترا ، وكان فخته هو الأكثر تأثرا فيقول بهذا الصدد إن ملكة الخيال المنتجة هي القوة النظرية الأساسية وبدون هذه القوة العجيبة لا يمكن تفسير أي شيء في العقل الإنساني ، وجماع جهاز التفكير يقوم على هذه الملكة والخيال هو القدرة الأساسية لانا على أن يتصور خلاف نفسه، وبملكة الخيال هذه يضل إنتاج الموضوع من شأن الذات ليبقى في داخل ذاتية مطلقة (٤٤).

أما هوبز فقد نبع مفهوم الخيال لديه من نزعته التجريبية فوحد بين الخيال والذاكرة، فالخيال عنده هو الملكة التي تقوم بتركيب المدركات الحسية في شكل صور مختلفة، لكنه تركيب معقد غير مفهوم و يفسر الخيال كما ذكرنا بأنه إحساس متحلل مما يعني أن الإدراك يقدم لنا المحسوسات واضحة وثابتة بينما يركب الخيال صوراً يسمها بالغموض (٤٥).

ويميز باركلي بين العفوي والإرادي (لفهم علاقة التخيل بالإدراك) وهو يعتمد على فكرته المشهورة من وجود الشيء كونه مدركاً أي أن الإدراك ليس هو ما يمنح الأشياء الوجود فحسب فالتخيل له الفعل نفسه ، ذلك إنني عندما أتخيل سفينة لا أعيش صورة وأدركها فقط إنما أدرك كذلك فاعلية نفسي ، وهذا موضع الاختلاف بين التخيل والإدراك فمجرد الإدراك ليس فيه وعي